



منذ مدة والحديث يدور حول ما حدث وما يمكن أن يحدث من تصرفات لبعض السوريين الذين لجأوا إلى تركيا هرباً من آلات الموت والبراميل الأسدية التي لم تستثن لا البشر ولا الحجر ولا الشجر، هذه التصرفات التي لا يمكن أن ترضي السوريين أنفسهم فضلاً عن مضيفيهم من الأتراك.

فهل كانت هذه التصرفات مستغربةً أو غير متوقعةٍ وقد بلغ عدد اللاجئين السوريين في تركيا وحدها أكثر من مليون لاجئ؟! إننا لا نتوقع أن يكون الشعب السوري ملائكةً، ولا نتوقع منه أن يكون في مستوى واحد من التربية، فحاله حال كل الشعوب والمجتمعات فيه المحسن والمسيء، وفيه الخير والشر، وهناك من تربى تربيةً راقية، وهناك من لم يجد الرعاية والعناية الكافية؛ فنشأ كنبلةً شيطانيةً يجب اقتلاعها، فكيف وقد سيطر على المجتمع فئةً جاءت في جنح الظلام، واغتصبت الحكم، ولم تكن مؤهلاتها إلا الجش والطمع والخسنة، وتحمل أحقاد مئات السنين، وكما قال كوهين الجاسوس الإسرائيلي الذي أُعدم في السبعينات من القرن الماضي، حيث قال: بأنه لم يجد أكثر لؤماً ودناءةً من حافظ الأسد الذي خبره من خلال السهرات واللقاءات بعض من أعضاء حزب البعث الحاكم وقتها، ولم يكن قد اكتُشف أمره بعد، فكان حافظ الأسد أن استلم حكم سوريا بعد مؤامرة بيع الجولان.

لقد عمل النظام الطائفي منذ استلامه الحكم في سوريا على قتل المبادئ والقيم والأخلاق قبل أن يرتكب مجازره في حماة وغيرها، وأقصى الدين عن المجتمع، ولم يبق منه إلا ما يتناسب معه، ولم يُبق من علماء الشرع إلا من يصفق له ويثنى على تصرفاته، فكان صاحب المنصب الرفيع هو الأكثر تزلفاً ودناءةً، والأكثر استعداداً للتضحيّة بالقيم، وانتشرت الرّشوة، فلا وصول إلى حق إلا بعد دفعها، واضطرب الكثير من اهتماماته دينوياً فقط إلى فعل الموبقات وبيع النفس والعرض في سبيل ذلك.

ولكن هل ينطبق الأمر على شعب بأكمله خاصةً أنَّ هذا الشعب صاحب حضارةٍ وموروثٍ ثقافيٍّ وأخلاقيٍّ ودينيٍّ متّصلٌ في نفوس غالبيته.

ولم يستطع هذا النظام بما حمله معه من سوء أن يغير من هذه الثوابت شيئاً!

وهنا لا بد أن نذكر بأنه وعلى مدى تاريخنا المنظور قد استقبل الشعب السوريُّ الكثير من المهاجرين والمغضوبين واللاجئين ابتداءً من الأرمن المسيحيين إلى اللاجئين من الإخوة الفلسطينيين إلى اللاجئين الشيعة الذين قدموا من لبنان، وغيرهم وغيرهم، ولم يجد هؤلاء من السوريين إلا الترحاب والإكرام.

إننا وبالمقابل لا يمكن أن نتوقع أن يستقبل الشعب التركي كلَّ الـّكم الهائل من السوريين بنفس الأريحية والأخلق، بل ولا بد أن يكون بين الأتراك وكما في كل الشعوب من لا يرحب بهؤلاء المهاجرين بل ويجدهم عالةً عليه سيما وأن هناك من المعارضة التركية من لا يرى في حكومة أردوغان إلا ظلاً للدولة العثمانية التي عمل العلمانيون والغرب واليهود على محاربتها سنين طويلة، كل هذا رغم ما قدمه أردوغان وحكومته للدولة التركية التي أصبحت الآن في مصاف الدول الكبرى، إلا أن شيخ الإسلام الذي يخيفهم ويعادونه يمنعهم من أن يكونوا منصفيين؛ ولذلك فهم يعملون ليل نهار على إسقاط هذه الحكومة، ولو لا إكرام الله لأردوغان لكان سقط فعلاً.

إن أردوغان وحكومته التي أكرمت السوريين أياً ما كان، وأنفقت عليهم من خزينة الدولة التي ازدهرت في عهده، وامتلأت بعد أن كانت تركيا في المؤخرة مع دول العالم الثالث.

إن وجود هذه الفئة في المجتمع التركي لا بد أن تذكّرنا بموقف ابن سلول والمنافقين في المدينة بعد أن قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها، واستطاع التأليف بين قلوب المهاجرين والأنصار، بل بين قلوب الأنصار أنفسهم من أوس وخزر؛ فمنع ذلك ابن سلول من الملك الذي وعد به نفسه؛ فكان حقده الكبير على الرسول والمهاجرين دافعاً إلى التآمر عليهم مستعيناً بيهود المدينة، وكان خذلانهم في حروبهم مع المشركين مع العزم على إخراج المهاجرين من المدينة في حال انتصر مشركون مكة على المسلمين.

"يُقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعْزَمِينَ مِنْهَا الْأَذَلَّ" ﴿٤﴾ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكُنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ" سورة المنافقون آية 8.

إننا وواقع السوريين في تركيا هكذا، وهو أفضل بعشرات المرات مما نراه في أماكن اللجوء الأخرى، وإننا والحال هكذا لا بد أن نبحث عما يمكن أن يخفف من الآثار السلبية الناتجة عن احتكاك بعض السوريين ببعض الأتراك، وما عملته الحكومة التركية من إعادة بعض الأسر السورية في غازي عنتاب إلى مخيّم اللجوء قد يجدي مؤقتاً، ولكن لا بد من علاج أثره يمتد إلى فترة طويلة حتى لا تتكرر حادثة قتل سوري لتركي لا نعرف دوافعها إلى الآن، أو قتل تركي لسوري، ومما نرى أنَّ العلاج الحقيقي هو باستعادة القيم والأخلاق التي أبعدتها الحكومات الظالمة الجائرة على مدى عقودٍ عن مجتمعاتها، ولا بد من

تحكيم الشرع الحميد، وتطبيق المنهج الوسطي في حياة الناس، لا منهج داعش أو ما يسمى بالدولة الإسلامية التي شوّهت الإسلام وأساءت إلى المسلمين.

لا بدّ من عقد الندوات واللقاءات مع اللاجئين السوريين، ولا بد من تعريفهم بواجبتهم وحقوقهم التي تتفق مع موروثنا الثقافي والديني، ومع عاداتنا التي تدفعنا إلى العمل بالمثل القائل "يا غريب كن أديب".

و قبل كل ذلك لا بد من عملية استبعاد للعناصر المندسة من النظام السوري والتي مهمتها الإيقاع بين السوريين والأتراك. وهناك أمور كثيرة ربما تخفّف، أو ربما تقضي على الآثار السلبية الناتجة عن احتكاك السوريين ببعض الأتراك الذين يريدون الإساءة إلى أردوغان وحكومته وهو الذي ما فتئ يردد ويقول للسوريين (أنتم المهاجرون ونحن الأنصار) فهل يكون رد الجميل بالإساءة إليه وإلى دولته وشعبه؟!

المصادر: